مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٦) العدد (١٠) تشرين الأول
(٢٠٠٩)

دور المدن التجارية الايطالية في الحروب الصليبية
(جنوة، البيزا، البندقية)

م. م. فواز نصرت توفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل:

إن الحملات الصليبية التي قامت نحو المشرق الإسلامي كانت لها دوافع وأسباب عديدة اختلف حولها المؤرخون في الجانب الإسلامي و الجانب الغربي. وبالنظر إلى أهمية الدافع الاقتصادي في قيام الغزو الصليبي فلا بد من التركيز على الدور الذي قامت به المدن الايطالية في تسهيل مهمات الجيوش الصليبية،مقابل ما يقدمه الصليبيون من امتيازات إلى الايطاليين في المناطق التي تتم السيطرة عليها.ومهما حاول الغربيون التأكيد على أن الدافع ديني في قيام الغزو، إلا أن المهتمين بالحروب الصليبية لا يجدون عناء في إبراز اثر الدافع الاقتصادي وماله من تأثير في دعم وتوجيه الحملات الصليبية.

لقد تم تقسيم البحث على ثلاثة مباحث: استعرضت في الأول العامل الاقتصادي وأخذت فيه أهم مؤثرات هذا العامل في الجانب الإقطاعي لما له من علاقة واثر على جانب التجارة في أوربا الداخلية وعلى المدن التجارية، كما تحدثت فيه عن المدن التجارية واثر هذا العامل في توجيه اهتمام هذه المدن نحو المشرق الإسلامي والبحث عن مصادر جديدة للتجارة بعد أن تأثرت هذه المدن بالحروب الإقطاعية في أوربا. وتناولت في المبحث الثاني دور المدن الايطالية (جنوه والبندقية وبيزا) في الحملات الصليبية، ودور كل واحدة منها في هذه الحملات، مع التركيز على أهم الحملات الصليبية التي شاركت فيها هذه المدن ولاسيما في الحملة الأولى والرابعة والخامسة لما لها من أهمية في قيام الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي والتي كان هدفها اقتصاديا أكثر مما هو سياسي.

أما المبحث الثالث فقد تحدثت فيه عن الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها المدن الايطالية مع المسلمين والصليبين وحول مصالح التجارة للمدن الايطالية في الحملات الصليبية على حساب الجانب الديني، كما وضحت فيه ازدواجية هذه المدن في أقامة الاتفاقات التجارية مع المسلمين والصليبين، إذ نلاحظ في ثنايا البحث أن تجار مدينة البندقية رفعوا شعار (لنكن بنادقه أولا ثم مسيحيين).

أولا: العامل الاقتصادي والإقطاعي وأثره على المدن التجارية:

يعد العامل الاقتصادي من بين العوامل الأساسية والرئيسة في قيام الحملات الصليبية ضد المشرق الإسلامي، وهو المحرك لآلاف الأوربيين الغربيين واهم أسباب زجهم في حرب المسلمين[١]. ويعود سبب هذا العامل إلى حالة أوربا خلال مدة العصور الوسطى وما كان يعاني منه المجتمع الأوربي من الفقر والحرمان والجوع، فضلا عن النظام الإقطاعي الذي يقوم على نظام القنانة[٢]. لهذا كان النظام الإقطاعي الأوربي نظاما سائداً في أوربا وما عرف عن هذا النظام من الظلم والتعسف في فرض الضرائب على الفقراء في المجتمع الأوربي المتردي[٣]. والذين رأوا في الحملات الصليبية النجاة من الفقر والتعسف والظلم إلى الأراضي التي تدر لهم السمن والعسل[٤].

فضلاً عن ذلك حالة الصراع الطبقي بين الإقطاعيين أنفسهم، إذ حاول كل واحد أن يفرض نفسه على الآخرين من خلال الاستيلاء والتوسع في ممتلكاته على حساب الآخر مما أخر الزراعة والتجارة[٥]. إذ تعاظمت شهوات الإقطاعيين وأصبحوا اشد طلبا في ابتزاز الأموال من العامة وأصبح هذا الأمر مرهقا للعامة[٦]. كما إن الإقطاعيين لم يهتموا بالأراضي ورفع كفاءتها أو الري والصرف، بل كانوا يريدون الحصول على الجنود للمشاركة في حروبهم الإقطاعية مما اثر على الزراعة والتجارة الداخلية في أوربا [٧]. وبالتالي كان أثره على الفلاحين بصورة كبيرة، وعلى المدن التجارية الايطالية اكبر من ذلك والتي رأت في هذه الحروب مضرة لمصالحها التجارية الأوربية وعلاقاتها مع تجار أوربا الآخرين [٨]. لهذا فقد تطلعت هذه المدن الايطالية المتمثلة بجنوه والبيزا والبندقية في

السيطرة على طرق التجارة البحرية والأسواق، لهذا وجدت الحملات الصليبية خير وسيلة لتحقيق أهدافها. وهذا ما قاله Stevenson إن المدن الايطالية قد ساندت الحملات الصليبية لقاء امتيازات اقتصادية خاصة وفريدة في أراضي الشرق [١٠].

وهذه الامتيازات كانت على أنواع ثلاثة منها ما هو إقليمي وهذا ما حصلت عليه المدن الايطالية من إحياء في المدن الساحلية الشامية والمصرية الرئيسة من بيوت ومستودعات [١١]. لذلك نجد أن المدن التجارية والتجار الأوربيين قد استجابوا لنداء البابا، فما إن انتهى من خطابه حتى لبوا نداء المشاركة في الحملات الصليبية ودعم الحملات الصليبية وتوجيهها لقاء امتيازات خاصة في أراضي الشرق الإسلامي [١٢]. وهم كانوا طامعين في امتيازات اقتصادية وحركة تجارية مزدهرة، إذ إنهم كانوا مندفعين في قيادة الجيوش الصليبية وحملها في سفنهم لقاء تلك الامتيازات [١٣].

كما إن المدن التجارية الايطالية في أوربا بدأت بعملية التنافس فيما بينها والتسابق في إقامة علاقات تجارية وبصورة متطورة تدريجيا مع بلدان البحر المتوسط قبل الحملات الصليبية وبعدها [١٤]. وهذا ما نلاحظه عند البنادقة الذين أصبحوا الوسطاء في نقل البضائع التجارية بين الشرق والغرب، ولاسيما بين مملكة حماه الأيوبية وأوربا فيما بعد [١٥].

فضلا عن ذلك فأن التجار الأوربيين قد انخرطوا في المشاركة مع المدن التجارية الايطالية للمشاركة في الحملات الصليبية ودعمها وإقامة علاقات تجارية مع بلدان الشرق الساحلية، وكذلك وضع حد للنفوذ العربي وسيطرتهم على تجارة البحر المتوسط[١٦]. وهذا ما حصل جليا عندما قامت المدن الايطالية بهجوم على مدينة المهدية الميناء الساحلي في إفريقيا الشمالية بمساعدة ألأساطيل الجنوبية والبيزية سنة (٤٨٠هـ . ١٠٨٧م) [١٧].

أن هذا الدعم للحملات الصليبية من قبل المدن الايطالية والتجار الأوربيين الذين قدموا من سواحل أوربا كله كان نتيجة النظام الإقطاعي المتشدد في أوربا والذي اثر على

تجارة أوربا الداخلية بصورة كبيرة، مما جعلهم يفكرون في أقامة علاقات مع بلدان الشرق والمشاركة في الحملات الصليبية [١٨].

ثانيا: المدن التجارية الايطالية والحملات الصليبية:

لقد ذكرنا سابقا أن المدن الايطالية (البندقية، جنوه، بيزا) قد ساندت الحملات الصليبية بكل ما لديها من إمكانيات اقتصادية وسياسية وذلك للحصول على امتيازات واسعة في بلدان الشرق وخاصة طرق التجارة البحرية وسواحل البحر المتوسط ، إذ كانت تلك المدن تتصارع تجاريا فيما بينها للحصول على هذه الامتيازات الاقتصادية الكبيرة وتقدم كل ما عندها في توجيه الحملات الصليبية ودعمها[١٩]. فضلا عن ذلك وعلى حد وصف المؤرخين الغربيين للمدن الايطالية أنها مدن تتسم بالحكمة والحذر الشديد وعدم الإسراف والبذخ، إذ كانوا أكثر حرصا من غيرهم من الأوربيين في الحفاظ على بلادهم ومستقبلها، وعدم الإذعان لأية سلطة أخرى مهما كانت قوتها [٢٠]. كما أن هذه المدن لم تقم بنقل الجند على أنهم إتباع للبابوية والصليبيين بل على أساس دول ومدن مستقلة بذاتها [٢١].

أ. دور المدن التجارية الايطالية في الحملة الصليبية الأولى:

١. جنوه:

كانت جنوه من بين المدن الايطالية التجارية التي لعبت دورا كبيرا في سير الحملات الصليبية إلى الشرق الإسلامي وقدمت مساعدات جلية في خدمة الجيش الصليبي [٢٢]. وكانت هذه المدينة وتجارها من الأوربيين من وقت لآخر يحاولون قدر الإمكان المحافظة على الكيان الصليبي في الشام من خلال تأسيس كيانات صليبية مستقرة وقوية للحفاظ على مصالحها التجارية وهذا ما نجده في جنوه التي قدمت مساعدة للقوات الصليبية في الحملة الأولى [٢٣].

وجاءت هذه المساندة من خلال ما قام به ريموند بتذكير للبابا اوربان الثاني بضرورة الاستعانة بأساطيل بحرية لمساندة الحملات الصليبية إلى المشرق، فوافق البابا ودعا جنوه لكي تقوم بهذا الدور المهم في نقل الصليبيين،فما كان من الجنويين إلا أن رحبوا بهذا الأمر ووجدوا فيه منفذا جديدا للعثور على مصالح تجارية جديدة وامتيازات خاصة في بلدان الشرق [٢٤].

فقد انطلقت من مدينة جنوه اثنتي عشر سفينة بحرية ناقلة للجنود الصليبيين إلى المشرق الإسلامي للمشاركة في الحملة الأولى ولإنقاذ قبر السيد المسيح[٢٥]. وهو شعار الصليبيين، وكان هناك بالمقابل الحصول على امتيازات تجارية في بلدان الشرق[٢٦]. ومن بين هذه الامتيازات التجارية التي حصلت عليها جنوه مقابل المساعدة البحرية في نقل الصليبيين كانت في طرابلس بعد أن سيطر عليها الصليبيون فقد اتفق الطرفان أن يكون للجنويين الثلث وما بقي لريموند الصنجيلي وافرد للملك بلدوين من وسط طرابلس ما رضي به[٢٧].

كما أن من الأمور الأساسية التي قدمتها جنوه في الحملة الأولى هو تسهيل مهمة الصليبيين في احتلال بيت المقدس إذ وصلت إلى ميناء يافا العديد من السفن الجنوية وأحضرت هذه السفن كل ما يحتاجه الصليبيون من آلات الحصار ومواد التموين [٢٨]. كما أسهمت في احتلال إنطاكيا سنة (٤٩٠هـ . ١٠٩٧م) وتقديم الدعم للصليبيين في سير الحملة[٢٩].

٢. بيزا:

مدينة بيزا الايطالية كان حالها حال المدن التجارية الايطالية الأخرى لها أطماعها التي تصبو إلى تحقيقها في المشرق الإسلامي مستغلة بذلك الحملات الصليبية[٣٠]. ومن الأدوار لهذه المدينة في الحملة الأولى هو المساعدة في السيطرة على المدن الساحلية، إذ دفعها إلى ذلك شهوة الكسب والتوسع التجاري على حساب المدن التجارية الايطالية، والمنافسة التجارية للسيطرة على المناطق الشرقية للعالم الإسلامي. فقد كان مجيء هؤلاء بطابع ديني ظاهر وسياسي حربي واقتصادي خفي[٣١]. إذ مونت بيزا الجيوش الصليبية بالمال والسلاح والمشاركة معهم في القتال والمساهمة في حالات الحصار[٣٢]. وبهذه المساعدة للصليبيين استطاع الصليبيون أن يسيطروا بصورة كبيرة على المدن الساحلية الشامية الممتدة من أنطاكيا والرها وبيت المقدس وغيرها من المدن حتى أصبحت مدينة بيزا مستقرة في البلاد تقوم بعملية تنظيم أمورها الإدارية والسياسية والعسكرية والتجارية[٣٣].

وهو ما ذكره احد المؤرخين الغربيين الذي قال عن المدن الايطالية في كيفية المحافظة على أموالها في الشرق وهو جاك دي فيتري الذي وصف الايطاليين بقوله: ((ببصيرتهم ويقظتهم، ورعايتهم مصالح وشؤون مدنهم أكثر من سائر الأمم مقدرة في مسايرة الحياة في المشرق))[٣٤].

أن هذا الوصف تجسيد لدور المدن الايطالية في الحملات الصليبية، ومنها مدينة بيزا التي كان لها دور كبير في الحملة الصليبية الأولى، وأسهمت بشكل فاعل في دعم الكيانات الصليبية في المشرق الإسلامي[٣٥]. كما نجد أن بيزا جاءت مشاركتها في الحملة الأولى متأخرة قياسا إلى مدينة جنوه التي ظفرت بهذه الحملة منذ بدايتها. إذ دخلت بيزا في منافسة تجارية مع جنوه للحصول على امتيازات تجارية وحربية في نقل المؤن والأسلحة إلى الصليبيين من الغرب إلى المشرق الإسلامي[٣٦]. وكانت مشاركة بيزا في هذه الحملة بأسطول بحري كبير من السفن السريعة والضخمة بلغ تعدادها حوالي تسعمائة

سفينة وكانت هذه الحملة بقيادة رئيس أساقفة ديمبرت [٣٧]. وقد رست هذه السفن في ميناء اللاذقية في الشام [٣٨].

٣. البندقية:

كانت البندقية تشكل أقوى قوة بحرية في البحر المتوسط، وكانت تهدف إلى السيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط ولم ينافسها في ذلك إلا مدينتا جنوه وبيزا. وكانت مشاركتها في الحملة الصليبية الأولى متأخرة قليلا ألا أن لها دور أيضا في هذه الحملة حالها حال باقي المدن الايطالية، فقد كان لها دور في حصار مدينة أنطاكيا واحتلالها من قبل الصليبيين ولولا هذا الدعم لما استطاع الصليبيون السيطرة عليها.

كما كان للبنادقة دور في السيطرة على بيت المقدس ودعم الحصار عليه وجلب العديد من المؤن وآلات الحصار وتقديم المساعدة في احتلاله والمشاركة في الحصول على الامتيازات التجارية داخل بيت المقدس[٣٩].

ب. دور البندقية في الحملة الصليبية الرابعة:

ذكرت اغلب المصادر أن البنادقة هم المسؤلون عن خط سير الحملة الصليبية الرابعة وتغيير اتجاهها ويؤيدون هذا بالاتفاقية التي أبرمت بين البنادقة بقيادة دوقهم انريكو العجوز والملك العادل الأيوبي[٤٠]. كانت هذه الاتفاقية بعد أن جهزت الحملة الصليبية الرابعة سنة (٥٩٧هـ -١٢٠٠م) بقيادة العديد من الأمراء الأوربيين الذين خططوا بأن تكون مصر هدفهم في هذه الحملة[٤١]. فقد اتفقت قيادة الحملة الرابعة مع البنادقة الذين كانوا يمتلكون أسطولا بحريا كبيرا في ذلك الوقت لنقل الجيش الصليبي إلى مصر والإسكندرية تحديدا[٤٢]. مقابل مبلغ من المال قدره ٨٥ ألف مارك وتحصل أيضا على

نصف ما يفتحوه الصليبيين من أراضي ساحلية في مصر فوافق بذلك البنادقة على نقل الجند الصليبي إلى مصر مقابل هذه الامتيازات(٤٣).

لكن بالرغم من هذه الاتفاقية التي أبرمتها البندقية مع المسلمين والصليبيين لكنها بدأت تلعب دورا كبيرا في خط سير الحملة الرابعة تبعا لمصالحها الخاصة على الرغم من الامتيازات التي قدمها لها الصليبيون حتى ولو كانت على حساب أبناء جلدتهم من الصليبيين التي كان لها الأثر الكبير في تغيير مسار الحملة الرابعة إلى القسطنطينية، وكانت هناك عدة أسباب في تغيير مسار الحملة الصليبية الرابعة من مصر إلى القسطنطينية ومن الأسباب هي:

أ. الحقد الذي تكنه البندقية ضد الإمبراطورية البيزنطية إذ كانت للبندقية امتيازات تجارية واسعة في بيزنطة إلا أن البيزنطيين قاموا بضرب المصالح التجارية للبنادقة في القسطنطينية سنة(٥٦٧هـ . ١١٧١م)(٤٤).

ب. العداء القديم بين النورمان في صقلية وبين الإمبراطورية البيزنطية والحروب الكثيرة التي نشبت بين الطرفين جعلت البنادقة يغيروا اتجاه الحملة (٤٥).

ت. كان للبنادقة مصالح واتفاقيات تجارية مع مصر تعهدوا بموجبها بعدم مساعدة أي مشروع صليبي ضد مصر، إضافة إلى معاهدة تجارية حصلوا بموجبها على امتيازات تجارية كبيرة في مصر أدت إلى تغيير مسار الحملة (٤٦).

ث. إن احتلال القسطنطينية سيؤدي إلى تحقيق مصالح تجارية أضافية لهم (٤٧).

ج. استغل البنادقة عجز الصليبيين عن دفع مستحقات البنادقة في نقل الجيش الصليبي ولعبوا دور الضغط على الأمراء الصليبيين في تغيير مسار الحملة الصليبية (٤٨).

ح. دعم البنادقة لنجدة الإمبراطور الكسيوس الرابع وإنقاذ بيزنطة من الإمبراطور المغتصب وضم القسطنطينية تجاريا إلى البندقية والسيطرة عليها فعليا (٤٩).

هذه الأسباب توضح سبب تغيير الحملة وتعطينا صورة واضحة عن الدور الكبير الذي لعبته مدينة البندقية التجارية في تقديم مصالحها التجارية على غيرها من المصالح الدينية أو السياسية على حد سواء لأن الإطماع التجارية بالنسبة للبنادقة وتوسيع المطامع والحصول على مزيد من الامتيازات كان هم وهدف تجار البنادقة والذين رفعوا شعار((لنكن أولا بنادقة ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين))[٥٠]. لذا فقد جهزت الحملة وغيرت مسارها إلى القسطنطينية بقيادة ثلاثة أمراء مع دوق البندقية الذين ما أن احتلوا القسطنطينية حتى تقاسموا فيما بينهم المدينة على أن تكون الجزر البحرية التابعة لبيزنطة للبنا دقة وهي(اقريطش ورودس)[٥١].

ج. دور المدن التجارية الايطالية في الحملة الصليبية الخامسة:

كان هدف الحملة الصليبية الخامسة هو مصر وخاصة بعد انحراف خط سير الحملة الرابعة التي كانت مدينة البندقية الايطالية قد قادتها والتي تعد من أهم أسباب انحراف الحملة الرابعة ضد القسطنطينية. لقد انتهت الحملة الرابعة ووجدت المدن التجارية الايطالية أن مركز الثقل السياسي والعسكري للمسلمين هو مصر لأنها القاعدة الأساسية التي تنطلق منها القوات الإسلامية وتهدد مراكزها التجارية في السواحل الشامية وخاصة بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي [٥٢].

كما أن البابا (اونوست الثالث) الذي دعا إلى الحملة الصليبية الخامسة قد رأى من الضروري مشاركة المدن التجارية الايطالية في هذه الحملة وبالمقابل يجب على هذه المدن التجارية وخاصة البندقية أن لا تقوم بأي معاملات تجارية متبادلة مع المسلمين وخاصة تلك المواد التجارية ذات التأثير الفعال في الحرب[٥٣]. وإذا خالفت هذه المدن والبندقية بوجه الخصوص هذا الأمر الكنسي فإنها سوف تتعرض لخطر وغضب الكنيسة وتوقع اشد العقاب عليها[٥٤].

وعلى اثر خطاب البابا (اونوست الثالث) فان المدن الايطالية قد رحبت كالمعتاد بالحملة الصليبية وذلك لما يعود عليها من منافع اقتصادية للتوسع في بلاد الشرق[٥٥]. ونلاحظ أن المدن التجارية كانت من قبل لها منافع اقتصادية تجارية في بعض المدن الساحلية المصرية وخاصة في ميناء الإسكندرية، ألا إنهم كانوا ينوون السيطرة بصورة كبيرة وكاملة على كل الموانئ الساحلية المصرية بغية السيطرة على الطرق التجارية البحرية التي تربط الشرق بالغرب[٥٦].

فضلا عن أن البابا (اونوست الثالث)قد منح الغفران لكل من يقدم سفنه لحمل الجنود لهذه الحملة أو الذين يقومون ببناء السفن استعدادا لهذه الحملة [٥٧]. وبدأت على هذا الأساس المدن الايطالية (جنوه، بيزا، البندقية) التنافس من اجل المشاركة في هذه الحملة حتى أن هذا التنافس وصل إلى حد النزاع المسلح بين المدن التجارية الايطالية نفسها [٥٨]. وسبب هذا النزاع هو ليس الولاء للصليب وإنما من اجل الربح والحصول على المنافع التجارية الجديدة في المشرق الإسلامي وعلى مصر بوجه الخصوص.

بدأت المدن الايطالية بعدها بتجهيز الحملة وخاصة البندقية التي جهزت عشر سفن كبيرة الحجم مقابل (٥٥) ماركا فضيا على كل سفينة، فضلا عن بعض السفن الصغيرة الحجم، وبهذا بدأت السفن الايطالية بحمل الجنود وأصبحت مستعدة لحملهم إلى عكا سنة (٦١٤هـ . ١٢١٧م) [٥٩]. وصلت هذه الحملة إلى عكا سنة(٦١٥هـ . ١٢١٨م) وتحمل على متنها (٣٠٠٠٠) مقاتل من الصليبيين المحاربين وكانت هذه القوات تتألف من الاسكندافيين والنمساويين وهم من الجنود المشاة المسلحين بالسهام والمدربين على استعمال المنجنيقات[٦٠].

لقد وصلت هذه القوة قبالة سواحل مدينة دمياط التي أصبحت الهدف الرئيس لهذه الحملة سنة(٦١٥هـ . ١٢١٨م) [٦١]. وبذلك احكم الصليبيون السيطرة على مدينة دمياط وحاصروها وكان دور المدن الايطالية هو في الجهة الشمالية للمدينة وبخاصة القوات الجنوية[٦٢]. بعد محاصرة دمياط استسلمت المدينة بالأمان [٦٣]. ألا أن تغير الظروف لصالح المسلمين بسبب الظروف المناخية وفيضان نهر النيل جعل الصليبيين في مأزق

عسكري فكانوا يقبلون أي شيء، وهذا ما ذكره ديفز بقوله ((لقد الحق الفيضان الذي لم يكن في حسبان الصليبين هي هزيمة المبكيات المضحكات في آن واحد)) [٦٤]. وتحول الحال بعد ذلك وحاصر المسلمون الصليبيين في دمياط [٦٥].

ما يهمنا في هذه الحملة هو دور المدن الايطالية التي لعبت الدور الكبير في التدخل بالشؤون السياسية والعسكرية للصليبيين و في عقد المعاهدات مع المسلمين عندما طلب الصليبيون من المسلمين عقد معاهدة، ألا أن المدن الايطالية وتجارها رفضوا عقد أي اتفاق مع المسلمين وتسليم مدينة دمياط الساحلية لأنها جاءت من اجل اعتبارات اقتصادية وليست سياسية . كما أن المدينة تتمتع بأرض عامرة بالخيرات وهي محطة للتجار بين المناطق المخلفة فضلا عن أنها تربط الشرق بالغرب [٦٦].

كما أن فكرة الجلاء عن دمياط التي تعد الميناء التجاري المهم والذي يخدم مصالحهم التجارية والذي من خلاله يستطيعون أن ينفذوا إلى داخل مصر وأن الجاليات الايطالية التجارية رأت أن السيطرة على مصر ودمياط خصوصا تعفيهم من الضرائب على بضاعتهم التجارية هذا كله بسبب عدم موافقة المدن الايطالية على الاتفاق مع المسلمين وقبول شروط الاتفاقية [٦٧]. وهذا دليل واضح على أن المدن التجارية الايطالية كان تأثيرها في الحملات الصليبية كبيرا من خلال توجيهها ودعمها وحتى في إصدار الأوامر السياسية والعسكرية وذلك تبعا لمصالحها الاقتصادية والتجارية بالدرجة الأولى.

كما أن هذه المدن التجارية لها الفضل على الصليبيين في تسهيل مهمة الصليبيين في السيطرة على السواحل الشامية بالكامل وأيضا كان لها الدور الكبير في هزيمة الصليبيين في معارك عدة ومثال على ذلك هزيمتهم في الحملة الصليبية الخامسة كان بسبب رفضهم لقبول الاتفاقية والانسحاب من دمياط لمطامع اقتصادية والتي كانت احد أسباب هزيمتهم في هذه الحملة.

ثالثا: العلاقات بين المدن التجارية والصليبيين والمسلمين:

إن المدن التجارية الايطالية التي شاركت في الحملات الصليبية منذ بدايتها وحتى نهايتها، كانت تجري تبعا لمصالحها التجارية أينما وجدت. وهذا ما نجده في عقد الاتفاقيات والمعاهدات التجارية التي تقاسمها التجار الايطاليون مع الصليبيين على حد سواء أو مع المسلمين وكان ذلك تبعا لمصالحهم الخاصة، إذ كانت الحروب الصليبية مجرد ورقة يلعبون بها وفق المصالح الاقتصادية ولم يكن للجانب الديني أي اعتبار لديهم، أي على وفق ما تقتضيه الحاجة في عقد الاتفاقية أو المعاهدات [٦٨].

أ. العلاقات مع الصليبيين:

مع بداية الحملات الصليبية نحو المشرق الإسلامي – وكما ذكر فيما سبق – كان للمدن الايطالية التجارية لها دور في تمكين الصليبيين من تأسيس مراكز قوى لها في المشرق الإسلامي، لكن هذا التمكين كان يقابله امتيازات يجب أن تحصل عليها هذه المدن مقابل هذه المساعدة البحرية وهذا ما تم عندما عقد التجار الايطاليون من البنادقة اتفاقية مع قادة الصليبيين سنة ٤٩٤هـ – ١١٠٠م [٦٩]. وخاصة بعد سيطرة الصليبيين على يافا وقدوم أسطول بندقي كبير مؤلف من(٢٠٠) سفينة حتى إن البنادقة وعدوا القادة الصليبيين بأنهم سوف يقدمون كل المساعدة الممكنة للسيطرة على المدن الساحلية الشامية الأخرى. مقابل إعفائهم من الضرائب وحصولهم على امتيازات في كل مدينة يسيطرون عليها[٧٠].

وبذلك تمت الاتفاقية واستطاع الصليبيون السيطرة على جميع مدن الساحل ما عدا صور[٧١]، وعسقلان[٧٢]. وذكر ذلك وليم الصوري وقال ((كانت جميع المدن الأخرى من نهر النيل وحتى أنطاكيا قد أصبحت بفضل نعمة الرب تحت سيطرتنا))[٧٣]. كما أبرمت اتفاقية بين الجنويين ومملكة بيت المقدس سنة(٤٩٥هـ –١١٠١م) اتفق بموجبها الجنويون أن يقدموا كل المساعدة المطلوبة لمملكة بيت المقدس في حربها مع المسلمين على أن لا تبرم مملكة بيت المقدس أية اتفاقية مع البنادقة، وهذه تعد حربا تجارية وسياسية للتنافس

حول الامتيازات الخاصة، ولا سيما إعفاؤهم من المكوس وان يحصلوا في كل مدينة يسيطرون عليها على امتيازات تجارية خاصة بهم[٧٤]. فقام الجنويون بمساعدة الصليبيين في الاستيلاء على ارسوف[٧٥]. وقيسارية[٧٦]. في نفس السنة حسب الاتفاق المبرم مع مملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الأول[٧٧]. كما أن بلدوين الأول شجع التجارة على الموانئ المسيطر عليها وإقامة علاقات تجارية مع المسلمين مستغلين بذلك موانئ بيزا والبندقية في العلاقات التجارية[٧٨].

كذلك عقدت مدينة بيزا الايطالية إحدى أهم المدن التجارية اتفاقا مع إمارة أنطاكيا سنة(٤٩٢هـ – ١٠٩٨م) للمشاركة في العمليات العسكرية ضد اللاذقية، إذ حصل بموجب هذه الاتفاقية تجار بيزا على احد شوارع أنطاكيا الرئيسة وعلى حي من الأحياء الهامة في اللاذقية [٧٩].

وفي سنة (٥١٨هـ – ١١٢٤م) قامت البندقية بعقد اتفاقية مع وصية مملكة بيت المقدس (بوستاس) للمساعدة في السيطرة على مدينة صور واحتلالها مقابل حصولهم على امتيازات كثيرة، وقد شاركت البندقية في هذه الحملة بأسطول بحري مؤلف من ١٢٠ سفينة واستطاعت أن ترد الهجوم المصري على مملكة بيت المقدس[٨٠].

وفي الحملة الصليبية الرابعة عقدت البندقية اتفاقية مع الصليبيين كان مجمل الاتفاق أن تقود البندقية الحملة إلى الأراضي المقدسة في الشام، لكن نوايا البنادقة مخالفة لما كان يريده الصليبيون بسبب محاولة هذه المدينة التجارية أن تفرض نفوذها على كافة المناطق التجارية[٨١]. فقامت البندقية بتغيير سير الحملة فوجهتها ضد القسطنطينية[٨٢]. نلاحظ أن البنادقة قد خالفوا بنود الاتفاقية المبرمة مع الصليبيين في حمل الجنود إلى المشرق الإسلامي. على كل حال فقد عقدت الاتفاقية بين الطرفين وهذا دليل واضح على مدى تدخل المدن التجارية الايطالية في الحملات الصليبية سياسيا وعسكريا واقتصاديا وان وجودهم مؤثر في الحملات.

كما إن الملاحظ على جميع هذه الاتفاقيات التجارية التي عقدتها المدن التجارية الايطالية (جنوه، بيزا، البندقية) مع الصليبيين وخاصة مع بيت المقدس كان هدفها الأساسي هو السيطرة على جميع موانئ الشام لمصلحة التجارة الأوربية في المشرق الإسلامي [٨٣].

ب. العلاقات مع المسلمين:

لقد ذكرنا فيما سبق أهم الاتفاقيات التي عقدت بين المدن التجارية الايطالية والصليبيين، أما أهم الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدت مع المسلمين فنذكرها على النحو الآتي:

في سنة (٤٩٤هـ . ١١٠٠م)عقد المسلمون معاهدة مع قادة المدن الايطالية الذين كانوا متحصنين في عسقلان وقيسارية ورأوا أن الذين كانوا يحكمونهم من الفاطميين عاجزون عن حمايتهم لذلك قرروا أن تعقد هذه المعاهدة مع الايطاليين تعهد بموجبها المسلمون أن تكون السيطرة التجارية لمدينة عسقلان وقيسارية للمدن الايطالية[٨٤]. أي أن الجانب التجاري كان سائدا في ذلك الوقت على الجانب الديني والسياسي[٨٥].

ومن الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدت بين المدن التجارية والمسلمين تلك المعاهدة التي عقدت سنة (٥٦٩هـ . ١١٧٣م) بين مدينة بيزا الايطالية وصلاح الدين الأيوبي تعهدت الأولى بموجب هذه الاتفاقية بالسماح للمسلمين باستيراد الحديد والخشب والزفت ونقلها إلى مصر [٨٦]. لأن هذه السلع التجارية هي سلع محظورة على المسلمين لأن الكنيسة الغربية فرضت الحظر عليها وعلى التعامل مع المسلمين[٨٧].

كما إن صلاح الدين الأيوبي منح تجار المدن الايطالية امتيازات خاصة إذ سمح لهم بالتجارة ما بين مصر واربا وأصبحت الإسكندرية أهم ثغر تجاري على البحر المتوسط [٨٨]. وهذه الاتفاقية زادت من مخاوف الصليبيين ورعبهم بسبب ازدياد التجارة بين المدن التجارية ومصر [٨٩].

في عهد الملك العادل عقدت معاهدة تجارية بين الكامل ابن العادل والبنادقة سنة(٦٠٥هـ .١٢٠٨م) تضمن مصالح الطرفين دون اعتداء أي طرف على الآخر بحيث قدر عدد التجار في مصر حوالي ثلاثمائة تاجر بعد هذه المعاهدة السلمية[٩٠]. وفي سنة (٦٠٨هـ . ١٢١١م)عقد الملك العادل اتفاقية تجارية مع المدن الايطالية، وكان مكان انعقاد الاتفاقية في الإسكندرية وبحضور ثلاثة آلاف تاجر لإقامة علاقات تجارية واسعة مع مصر[٩١].

وفي الحملة الصليبية الرابعة عقد تجار البندقية اتفاقية تجارية وسياسية مع المسلمين، والذين كانوا بنفس الوقت يعقدون اتفاقية مع الصليبيين وكان ذلك في عهد الملك العادل[٩٢]. إن سبب هذه الازدواجية في عقد والاتفاقيات والمعاهدات مع الصليبيين والمسلمين بالنسبة للبنادقة هو تضارب المصالح التجارية والسياسية والشخصية لقادة الحملة الرابعة بما فيهم قادة البندقية، فوجدوا في انحراف الحملة عن مسارها فرصة لتحقيق مصالحهم ووجهوا حملتهم ضد الإمبراطورية البيزنطينية [٩٣]. فضلا عن ذلك وكما ذكرت المصادر الغربية فإن الملك العادل أرسل رسلا إلى البندقية محملين بالهدايا وطلب منهم تغيير مسار الحملة الرابعة عن مسارها مقابل منحهم امتيازات جديدة خاصة بهم في الإسكندرية ومنحهم الأمان لهم ولحجاجهم ولتجارهم [٩٤].

في عهد الملك الكامل عقدت اتفاقية مع المدن الايطالية بقيادة مدينة البندقية سنة (٦٢٩هـ . ١٢٣٢م) [٩٥]. وكانت هذه الاتفاقية قبل الحملة الصليبية الخامسة بقليل، واتفق الطرفان على إقامة علاقات تجارية مع مصر[٩٦].

كما عقدت العديد من هذه المعاهدات والاتفاقيات في زمن الدولة المملوكية وخاصة تلك الاتفاقية التي عقدت بين السلطان سيف الدين قلاوون مع مدينة جنوه الايطالية وتنص على أقامة علاقات تجارية مربحة متبادلة بين الطرفين وكان ذلك قبل أن يحرر المسلمين مدينة عكا بفترة قليلة من الزمن[٩٧].

وأخيرا وليس آخرا فإن جميع هذه الاتفاقيات والمعاهدات مع المسلمين كان هدفها بالدرجة الأولى السيطرة على النشاط التجاري في بلاد الشام ومصر، كما يوضح لنا مدى التدخل الايطالي في سير الحملات وتوجيهها حسب ما تقتضيه المصلحة بالدرجة الأساسية وليس على وفق الجانب الديني.

والذي يؤكد هذا الكلام أن جميع الباباوات حاولوا منع التجار الايطاليين من التعامل التجاري مع المسلمين، وأصدروا مراسيم تحرم التجارة مع المسلمين إلا أن التجار البنادقة والجنويين والبيزيين لم يلتفتوا إلى جميع مراسيم التحريم الكنسي واستمروا في علاقاتهم التجارية مع المسلمين (٩٨).

كما إن هذه الاتفاقيات والمعاهدات التي حدثت بين التجار الأوربيين والمسلمين هي حالة مخالفة لحالة الحرب التي كانت سائدة في ذلك الوقت بين المسلمين والصليبيين في المشرق الإسلامي، فقد وصف ابن جبير هذه التجارة ما بين المسلمين والتجار الأوربيين في مدينة عكا بقوله ((هي مرفأ كل سفينة والمشبهة في عظمتها بالقسطنطينية، مجمع السفن والرفاق، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق)) (٩٩).

الخاتمة:

من خلال البحث تبين ما يأتي:

١. كان للايطاليين الدور البارز في دعم وتوجيه الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي ومن ذلك مساعدتهم في احتلال الموانئ الشامية بصورة كاملة.

٢. إن المدن الايطالية (جنوه، بيزا، البندقية) كانت مصالحها التجارية فوق كل اعتبار من خلال تقديم الجانب الاقتصادي على حساب الجانب الديني وما هذه الحملات الصليبية ألا ورقة كانت تلعب بها بين المسلمين والصليبيين بحسب مصالحهم الخاصة.

٣. كان الدور الأبرز في الحملات الصليبية هو لمدينة البندقية التي كانت تملك اكبر أسطول بحري في البحر المتوسط وفاقت منافسيها من تجار جنوه وبيزا.

٤. إن هذه المدن التجارية لم تلتزم بالقرار الكنسي الذي نص على منع أقامة أية علاقات تجارية مع المسلمين فضربت القرار الكنسي عرض الحائط.

٥. كانت لهذه المدن ازدواجية في عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع المسلمين والصليبيين، فعندما ترى هذه المدينة أو تلك أن مصالحها مع طرف معين تعقد معه الاتفاقيات حتى ولو كان ذلك على حساب الجانب الديني وهذا ما رأيناه في الحملة الصليبية الرابعة.

٦. كما إن لهذه المدن التجارية الايطالية دورا في هزيمة وخسارة الصليبيين في كثير من الأحيان ومثال على ذلك في الحملة الصليبية الخامسة عندما اعترض التجار الايطاليون على عقد أية اتفاقية مع المسلمين والجلاء عن مدينة دمياط لأنها المكان الذي يربط الشرق بالغرب.

هوامش البحث:

١. بن موسى، تيسير، نظرة عربية على غزوات الفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين، الدار العربية للكتاب، (لا.م / لا.ت)، ص٥٥.

٢. الحميدة، سالم محمد، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية، (بغداد/ ١٩٩٣)، ج١، ص٤٦ ؛ رنسيمان ، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة، السيد ألباز ألعريني، دار الثقافة، (بيروت / لا. ت)، ج١، ص٣٨ ؛ الصلابي ، علي محمد، دولة السلاجقة، مكتبة الأيمان، (المنصورة / ٢٠٠٦)، ص٣٨٤.

٣. خاشع المعاضيدي وآخرون، الوطن العربي والغزو الصليبي، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل / ١٩٨١)، ص٣٢.

٤. المرجع نفسه، ص٢٣ ؛ الصلابي، دولة السلاجقة، ص٣٨٤.

٥. الصلابي، علي محمد، صلاح الدين الأيوبي، مؤسسة اقرأ، (القاهرة / ٢٠٠٧)، ص٢٩ ؛ قاسم، عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، (الكويت / ١٩٩٠)، ص٦٧.

٦. زابروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، دار التقدم، (موسكو / ١٩٨٦)، ص١٥.

٧. الزيدي، مفيد، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، دار أسامة للنشر والتوزيع، (عمان / ٢٠٠٤)، ص٢٧٣.

٨. عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (بيروت /١٩٧٦)، ص٤٤١.

٩. اليوسف، عبد القادر احمد، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي العشر والخامس عشر، منشورات المكتبة العصرية، (بيروت /١٩٦٩)، ٤٢.

10. Stevenson , W.W.B: The crusades in the east , brief history of he wars of Islam with the latin in sysia during the twelfth and hirrtenth contnries , Cambridge university. printed in

11. Lebanon by Slim Press , Beirut , 1968. P 5.

زابروف، الصليبيون في الشرق، ص١٢٨.

١٢. عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص٤٤١.

١٣. يوسف، جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية، ط٣، (بيروت /١٩٨١)، ص٨٧-٨٨ ؛ ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، دار الجيل، (بيروت /١٩٨٨)، م١٥.١٦، ص١٣.١٤.

١٤. زابروف، الصليبيون في الشرق، ص١٤ ؛ خان، ظفر الإسلام، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي وحتى آخر غزو صليبي، دار النفائس، ط٣، (بيروت/١٩٨١)، ص١٩٦.

١٥. عطية، عزيز سوريال، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات ما بين الشرق والغرب، ترجمة فليب صابر سيف، مراجعة احمد زكي، دار الثقافة، ط٢، (القاهرة / لا. ت)، ص١٨٦ ؛ سعد الدين، عدنان، مملكة حماه الأيوبية، دار المنار، (الأردن /٢٠٠٣)، ص١٨٠.

١٦. أبو صرة، محمود احمد، ثورة العصور الوسطى التجارية، مراجعة صلاح الدين حسن السعدي، منشورات أنجا، (مالطا /١٩٧٧)، ص٨٧.

١٧. زابروف، الصليبيون في الشرق، ص٢٧.

١٨. المرجع نفسه، ص٢٨.

١٩. ديورانت، قصة الحضارة، م١٥ـ١٦، ص٧٤ـ٧٥ ؛ النقاش،زكي، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب اللبناني، (بيروت /١٩٥٨)، ص١٢.

٢٠. السيد، عبد اللطيف عبد الهادي، الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فيتري خلال (النصف الأول من ق١٣ م، المكتب الجامعي الحديث (ليبيا / ٢٠٠٦)، ص٢٠٩.

٢١. قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص٧٧.

٢٢. أبو صرة، ثورة العصور الوسطى التجارية، ص٩٢.

٢٣. السيد، عبد اللطيف عبد الهادي، الحركة الصليبية، عصر بلدوين الثالث، المكتب الجامعي الحديث، (ليبيا /٢٠٠٦)، ص٢٨٩.

٢٤. عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، ط٥، (القاهرة/ ١٩٩٩)، ج١، ص١١٢ ؛ العابد، صالح، (الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة)، مجلة المورد، وزارة الإعلام، جمهورية العراق، م١٦، ع٤، ١٩٨٧، ص١٣.

٢٥. عاشور، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢١٣.

26. Setteon. Kenneth M. GENERAL , A History of the contnries , the university of wlsconsin PRESS Madison , mil wankee and London, 1969. vol. p.76.

٢٧. عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٦٦.

٢٨. الصلابي، دولة السلاجقة، ص٣٨٩.

٢٩. ابن ألقلانسي، أبي يعلي حمزة، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الإباء اليسوعيين، (بيروت /١٩٠٨)، ص ١٣٤؛

الحايك، العلاقات الدولية، ج١، ص٢٨١ ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٠٢ ؛ المعاضيدي، الوطن العربي، ص٥٦.

٣٠. قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص٧٧.

٣١. رنسيمان، ستيفين، تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية السيد ألباز ألعريني، دار الثقافة، (بيروت / لا. ت)، ج٣، ص١١٣.

٣٢. الحميدة، الحروب الصليبية، ج٤، ص١٩٦ ؛ مارك، سقوط القسطنطينية للصليبيين، الموسوعة الشاملة، سهيل زكار، ج١٠، ص٢٠٦ ؛ ماجد، عبد المنعم، العلاقات بين الشرق والغرب، مكتبة الجامعة العربية، (بيروت /١٩٦٦)، ص١٨٧.

٣٣. عبد الحميد، رأفت، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، (مصر /١٩٩٨)، ص٩٧ ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٩ ؛ السيد، الحروب الصليبية، ص١٥٦.

٣٤. الحميدة، الحروب الصليبية، ص١٩٦.

٣٥. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، مراجعة يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط٤، (بيروت /٢٠٠٣)، ج ٩، ص١٩ ؛ عمران، محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، (السويس/ ٢٠٠٠)،ص٥٦.

٣٦. عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٩٤.

٣٧. الالكياد، انا كومينا،الموسوعة الشاملة،سهيل زكار،ج٦، ص٦٦ ؛ قلعجي، قدري، صلاح الدين الأيوبي، دار الكاتب العربي، ط٥،(لا. م /١٩٨٩)، ص٢٥٩.

٣٨. السيد، الحروب الصليبية، ص٢١١ ؛ طلفاح، صلاح الدين الأيوبي، ص٧٥ ؛ الصلابي، صلاح الدين الأيوبي، ص٢٩.

٣٩. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٨٩ ؛ ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، خرج أحاديثه احمد بن شعبان بن احمد ومحمد بن عيادي، مكتبة الصفا، (القاهرة /٢٠٠٣)، ج١٤.١٣، ص٣٢.

٤٠. المقريزي، تقي الدين أبي العباس احمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت /١٩٩٧)، ج١، ص٢٧٥ ؛ غنيم، الحملة الصليبية الرابعة، ص١٣.

٤١. باركر، الحروب الصليبية، ص٩٧.

٤٢. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص١١٣.

٤٣. مارك / سقوط القسطنطينية للصليبيين، الموسوعة الشاملة، سهيل زكار، ج١٠، ص٢٠٢ ؛ ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٨٧ ؛ الحميدة، تاريخ الحروب الصليبية، ج٤، ص١٩٦.

٤٤. عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، ص٩٧ ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٩٢ ؛ السيد، الحروب الصليبية، ج٤، ص٥٦.

٤٥. الحميدة، الحروب الصليبية، ج٤،١٩٦.

٤٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٩١ ؛ عمران، الحروب الصليبية، ص٢١٧.

٤٧. عاشور، الحركة الصليبية، ج٢ . ص٨٩٤.

٤٨. غنيم، الحملة الصليبية الرابعة، ص ١٤ ؛ قلعجي، صلاح الدين، ص٤٥٩.

٤٩. الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ص٨٥.

٥٠. السيد، الحروب الصليبية، ص٢١١ ؛ طلفاح، صلاح الدين الأيوبي، ص٧٥ ؛ الصلابي، صلاح الدين الأيوبي، ص٢٩.

٥١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٨٩ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣.١٤، ص٣٢.

٥٢. طلفاح، صلاح الدين الأيوبي، ج٢، ص٩٣ ؛ الحميدة، تاريخ الحروب الصليبية، ج٤، ص٢٠٨.

٥٣. عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص١١٨.

٥٤. عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ص٤٦٨.

٥٥. ألعريني، مصر في عهد الأيوبيين، ص١٠ ؛ عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص١٤٩.

٥٦. جب، صلاح الدين، ص٢١٠ ؛ الحميدة، تاريخ الحروب الصليبية ؛ ج٤، ص٢٠٣.

٥٧. عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص١٥٨.

٥٨. توفيق، فواز نصرت، مدينة دمياط وأهميتها في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي مقدمة إلى كلية التربية في جامعة تكريت (١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥)، ص٦٨.

59. Pernond , Regin: the Crusanders, Translated by Enid Grant, oliver and boyd Edinbutgh and London, 1963 , op.cit.p256.

٦٠. عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص١٩٧.

٦١. أبو شامة، ذيل على الروضتين، ص١٠٩ ؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين بن مظفر يوسف، مرآه الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر أباد /١٩٥٢)،ج٨، ق٢، ص٥٩٣.

٦٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٩، ص٣١٥.

٦٣. الذهبي، أبي عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت /٢٠٠٥)، م١٣، ص ١٢٠؛ توفيق، مدينة دمياط، ص٨٥.

٦٤. ديفز. هـ. و، أوربا في العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدي، المعارف، (الإسكندرية /١٩٥٨)، ص٢٠٥

٦٥. ماير،هانس ابر هارد،تاريخ الحروب الصليبية،ترجمة وتعليق عماد الدين غانم،منشورات مجمع الفاتح للجامعات،(طرابلس/١٩٩٠)،ص٣٢٢.

٦٦. عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص٢٧٥.

٦٧. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ؛ عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص٢٧٦ ؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص٢١٥.

٦٨. يوسف، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص٧٤ ؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص٣٤.

٦٩. اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص٨٠ ؛ ارشيالد ، لويس، ترجمة احمد محمد عيسى، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة /١٩٦٠)، ص٢٨٢ ؛ عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص٣٤.

٧٠. ديورانت، قصة الحضارة، م١٥.١٦، ص٢٧ ؛ الصوري، وليم، الإعمال المنجزة في وراء البحار، نقله إلى للعربية مقدم له سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت / ٢٠٠٣)، ج١، ص٥٩٧.٥٩٨ ؛ النقاش، العلاقات، ص١٨٦.

٧١. صور: هي مدينة مشهورة سكنها خلق من العلماء وكان من أهلها جماعة من الأئمة كانت من ثغور المسلمين وهي مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر

ويحيط بها البحر من ثلاث اتجاهات وهي حصينة، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار أحياء التراث العربي، (بيروت / لا. ت)، ج٣، ص٢١٠.

٧٢. عسقلان: هي مدينة ساحلية تقع على البحر المتوسط، وتعد من أعظم المدن الساحلية الفلسطينية في ذلك الوقت إذ أنها مطلة بصورة مباشرة على الساحل، اليعقوبي، البلدان، ص٣٣٠ ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٥٥.

٧٣. الصوري، الإعمال المنجزة، ج١، ص٥١٢، ٦٠٠.

٧٤. باركر، الحروب الصليبية، ص٤٤.

٧٥. ارسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، وكان بها خلق عظيم من المرابطين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٢٦.

٧٦. قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام تعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ١٠٧.

٧٧. اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص٩١ ؛ ارشيبالد، القوى البحرية، ص٣٨٢.

٧٨. عطية، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ص٥٣.

٧٩. اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص٩١.

٨٠. باركر، الحروب الصليبية، ص٤٥ ؛ اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص٩٢ ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤١٥.

٨١. الحايك، العلاقات الدولية، ج١، ص٢٥٦ .

٨٢. تاريخ المورة ، مجموعة هافنس /٥٧، الموسوعة الشاملة، سهيل زكار، ج١٠، ص٣٨٥.٣٨٦ .

٨٣. الزيدي، موسوعة الحروب الصليبية، ص٨٠.

٨٤. عاشور، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢١٥.

٨٥. عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢١٤

٨٦. الصلابي، صلاح الدين الأيوبي، ص٣١٥.

٨٧. توفيق، مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ، ص١٨٧.

٨٨. غوانمة، يوسف، أمارة الكرك الأيوبية، منشورات بلدية الكرك الاردنية، (الأردن /١٩٩٨)، ص ٣٤٢.

٨٩. ألعريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج١، ص١٢٠ ؛ خان، تاريخ فلسطين القدين، ص١٧٩.

٩٠. المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٩٤ ؛ الحايك، العلاقات الدولية، ج١، ص٢٧٤.

٩١. غنيم، الحملة الصليبية الرابعة،ص١٣.١٤ ؛ السيد، الحروب الصليبية، ص٢٣٠.

٩٢. السيد، في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٨.

٩٣. غنيم، الحملة الصليبية الرابعة، ص١٤.

٩٤. الحايك، العلاقات الدولية، ج١، ص٢٧٤.

٩٥. المرجع نفسه، ص٢٧٤.

٩٦. ويست، تاريخ الحروب الصليبية، ص١٣٤.

٩٧. سعد الدين، مملكة حماه الأيوبية، ص١٨٠.

٩٨. ابن جبير، أبو الحسين محمد الكناني، رحلة ابن جبير، دار الشرق العربي، (بيروت / لا. ت)، ص٢٣٧.